

لا تتردد حكومة جنوب افريقية في تهديد الجالية اليهودية اذا ما اتخذت اسرائيل موقفا معاديا لها بأي شكل من الاشكال ولا تتردد في وقف تحويل رؤوس الاموال الى اسرائيل كوسيلة للضغط . وهكذا فان وضع الجالية اليهودية في جنوب افريقية عامل اضافي حاسم لايجاد علاقات طيبة بين جنوب افريقية واسرائيل ، هذا بالاضافة الى العلاقات الناشئة بينهما نتيجة لوضع كل منهما في اطار النظام الرأسمالي والغربي .

الخلفية التاريخية للعلاقات ما بين جنوب افريقية واسرائيل : اطار الامبريالية الغربية

بعد ان استعرضنا الوضع الحالي للعلاقات بين جنوب افريقية واسرائيل ، نشعر انه لفهم الاسس التي تقوم عليها هذه العلاقات لا بد ايضا من معالجة الاطار المشترك للدولتين باعتبارهما من الدول الاستيطانية الغربية غرستا في قلب العالم الاثرو - اسيوي . وقد حدد بروفسور ريتشارد ستيفنز ، من جامعة لينكولن ، الاساس التاريخي المشترك لهاتين الدولتين في محاضرة بعنوان « الدول الاستيطانية والاستجابة الغربية » القاها في ندوة فلسطين العالمية الثانية في الكويت في شهر شباط ١٩٧١ ، ونقتطع منها ما يلي : « يعتبر قانون اتحاد جنوب افريقية (لندن ، ١٩٠٩) ووعده بلفور (لندن ، ١٩١٧) من بين القرارات الغربية المختلفة التي كان لها تأثير على حياة ومصائر شعوب ما يسمى العالم الثالث ، واكثرها قوة على فصح جوهر الايمان بسمو العرقية واشملها على اظهار قدرة العالم الغربي على تحويل وترجمة امتداد قوته وازدراء الشرعية عليه تحت ستار القانون الدولي والاخلاق . ومع هذا ، فان هاتين الوثيقتين اللتين وضعتا دون اي اعتبار لحقوق وتطلعات الشعوب التي اخضعت للقوة قد بررتا على اساس من اسمى المسؤوليات والمبادئ الاخلاقية للحضارة الغربية . وهكذا ، بأسم الليبرالية البريطانية لا يفقد السكان الاصليون في فلسطين وجنوب افريقية بيوتهم وارضيتهم ومعظم حقوقهم الطبيعية فحسب بل ايضا يلغون انفسهم وقد نزعتم عنهم هويتهم واخضعوا لارادة الاقوياء ، كما فرضت عليهم الضرائب والانظمة الادارية وفق خطة تقضي بتأمين بقاء المستعمرين* . وتعريف هذين الشعبين على اساس « الغربية » : « غير البيض » من جهة و« غير اليهود » من جهة اخرى ، يكشف عن تحامل بسيكولوجي يتميز به الذين بين ايديهم زمام السلطة ، تحامل اصبح جزءا لا يتجزأ من النظام القانوني الدولي المهيمن الذي يعتبر ان الرد على احتجاجات المتذمرين يجب ان يكون على اساس القانون نفسه فلسطين وجنوب افريقية - بلدان يبعدان قرابة ٣٥٠٠ ميل عن بعضهما بعضا ولكن كلا منهما موضع اهتمام المستعمر نفسه ، وكلا ذهب ضحية ، بأسم الشعوب الغربية والمصالح الامبريالية البريطانية ، وقد وضعت تفاصيل عملية التضحية هذه على يد السياسيين انفسهم ، وفي كلتا الحالتين فان الحيف الواضح الذي ارتكبته دولة غربية او الحضارة الغربية ضد يهودي في الحالة الاولى ، وافريقياني في الحالة الثانية ، قد تم التكفير عنه على حساب الذين اعتبروا « غير متحضرين » و« بدائيين » جدا و« متخلفين » جدا لتثبيت ادعاء اخلاقي مماثل . وفي كلتا الحالتين ايضا قبلت بريطانيا علنا او ضمنا فكرة اعتبار اليهودي والافريقياني كـ « شعب مختار » ووارث لـ « ارض الميعاد » وبالتالي يمكن ارجاع قرار بريطانيا للتضحية بحقوق سكان جنوب افريقية وفلسطين الاصليين لاعتبارات امبريالية ، اذ ان ما سيطر على تفكير الحكومة البريطانية في ١٩٠٩ هو ان قناة السويس يمكن ان تتعرض للاغلاق في وجه الملاحة البريطانية في حالة نشوب حرب ، الامر الذي سيعيد لطريق رأس الرجاء الصالح اهميته التجارية والاستراتيجية

* في كلتا الحالتين ، استغرقت عملية سلب حقوق غالبية السكان الاصليين التي كانت هذه القوانين تجسدها زمنا طويلا .